العصر ، لأنه كالهجاء الجاهلى ليس فيه بذاء وفحش ، وقد كان أشد الهجاء عندهم فيما نعلم أعفه وأصدقه ، وما خرج عن ذلك فهو قذف وإفحاش كما كان فى هجو الأعراض ، مما تراه فى غير هذا المكان .

وقد عكف الشعراءُ الأمويون على أخلاق الجاهليّة فى أكثر هجائهم ، فرموا مَنْ كان يحترفُ الصناعةَ والمهن المحتقرة ، فكان جريرٌ يهجو الفرزدقَ زاعماً أن أجداده كانوا يعيشون بالحدادة ويقضون أيامهم قربَ النار والحديد والشرر والدخان والكير ، فكانوا كالرّقيق والعبيد ، ولذلك قال جرير :

ما بالُ أمك إذ تَسرْبل درْعها ... ومن الحديد مفاضة سربالى
حممتَ وجهك فوق كيرك قائماً ... وسَقيتَ أمك فضلةالجرْيال[1]
فانفخْ بكيرك يا فرزدقُ وانتظرْ ... فى كرنباء هديةَ القفّال[2]

فرسم أم الفرزدق فى ثياب الصناع تعمل مع ابنها على مقربة من هذا الجحيم خلال الحرّ ، وابنها يقوم على العمل ، يسقيها فضلةَ الخمر جزاء ما تقوم به ، فهو نافخُ الكير ينتظر ثوابه على أيدى الزبائن . وليس الفرزدق أقل منه تعلقاً بهذه الصور فهو يهجوه بأن قوم جرير فقراء كذلك يصطنعون الخمرَ فى تنقلهم ، فيقول :

يا ابن المراغة كيفَ تطلب دارماً ... وأبوك بَينَ حمارة وحمار
قبح الإلهُ بنى كليب إنهم ... لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نهاق حمارهم ... وتنامُ أعينهم عن الأوتار[3]

فيعجب كيف يريدُ جرير أن ينافس قوم « دارم » وهو يعيش بين حمارة وحمار ، إنهم قوم لا يفون لجار ، ولا يستيقظون لثأر ، ولا يهبون إلى مكرمة ، وإنما يوقظهم نهاقُ الحمار ، وصوتُ الأعيار . وهكذا وصمت النساء فى معركة المنافرة والمناقضة ووقعن فى الألسن الخبيثة كالجاهلية سواء بسواء .

---

(١) الجريال : الخمر — انظر القصيدة فى ديوان جرير ص ٤٧٠ — ٤٧١ .
(٢) كرنب الرجل : آكل التمر .
(٣) الأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر .